العولمة وحقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية وإعلان الأمم المتحدة

بقلم د/ أحسن زقور

أولا: الحضـــارة:

هي مجموع ما يتوصل الإنسان إليه من تحسين لحياته على هذه الأرض أو على أي كوكب آخر صالحا لأن يعيش الإنسان عليه، ويكون الكوكب قابلا لأن تبنى عليه حضارة إنسانية.

ولقد غرز الله تباركم وتعالى مبدأ التحضر في الناس خلقة، بحيث هذا المبدأ هو الذي يحقق لهم المهمة الأولى على هذه الأرض ألا وهي عمارتها وبناؤها، قال تعالى: ﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾[1]، ولا يكون الإعمار بدون تحضر، بل الإعمار هو عين الحضارة، وما قام به الإنسان من بناء للحضارة على هذه الأرض يكون صالحا لأن يتكرر على كوكب آخر إن وجد صالحا لأن تبنى عليه حضارة إنسانية.

أما الزعامة: فإنها القيادة، قيادة فرد لجماعة أو قيادة جماعة لجماعة، وهذه القيادة قد تكون في الخير وقد تكون في الشر، قد تكون في بناء الحضارات وتحسين حال الإنسان فيها، وقد تكون في غيرهما، أي تكون في هدم الحضارات وفي تقبيح حياة الإنسان على هذه الأرض أو في أي بقعة وجد فيها، فليس كل زعيم هو متحضر، وليس كل متحضر هو زعيم، فقد يكون

الزعيم من أوحش المتوحشين زعيما لأمثاله أو زعيما للمتحضرين، وما كان كذلك إلا لأنه قد أوتي القوة والغطرسة.

وعليه: فليس كل حضارة هي زعامة، وليس كل زعامة هي حضارة. ومنه فإن السباق نحو الزعامة قد يولد الحضارة وقد يولد الخراب والدمار والتوحش، ولنا في التاريخ الإنساني ما يثبت هذه المرارة مرات ومرات...

أما السباق نحو التحضر فإنه بالضرورة سيؤدي إلى الزعامة إن آجلا أم عاجلا، لأن تحسين حياة الناس له من القوة والسطوة على أنفس الناس ماله بحكم ما خلق الله تعالى في أنفسهم من الميل اللا إرادي إلى رغد العيش وتحسين الحياة، فكل أمة أرادت أن تكون زعيمة كغيرها من الأمم فليس لها بد من أن تحسّن حياتها وتزينها في كل طبقاتها سواء في طبقة الضروريات أم في طبقة الحاجيات أم في طبقة التحسينيات والتزويقيات، وهذا هو الذي كان في القديم ولا يزال إلى اليوم، فقد قامت حضارات وحضارات، وما من حضارة راعت أسباب النمو والازدهار إلا كان لها ذلك في التحضر ثم في الزعامة إلى الخير، وكل حضارة سقطت بعد فترة من الزمن إلا وأنها قد تخلت عن هذا المبدأ العظيم وهو مبدأ تحسين حياة الناس، ولهذا نجد أن أعمار حضارات الأمم تقاس بمدى أخذها لهذا المبدأ وهذه الأسباب، وكلما صبرت عليهما: كان عمرها أطول...

لكن تجارب البشر في بناء الحضارات تثبت تاريخيا أنه لم تصمد أي أمة على الأخذ بهذا المبدأ وهذه الأسباب و لم تصبر إلى ما لا نهاية، بل كل الأمم قد قل صبرها فوهنت وضعفت: فضاعت زعامتها بالتالي للعالم، فتزعمت أمة أخرى فتية في حضارتها تبدأ حيث انتهت حضارة الأمة التي سبقتها... وهكذا الحال إلى يومنا هذا، وفي هذا سر عظيم من الله تعالى في إعمار الأرض وتحضيرها أو تحضير حياة الناس أينما وجدوا.

(ولقد خدم المسلمون قرابة ألف سنة ثم وهنت أذرعهم عن حمل المصباح –مصباح الحضارة والتحضر– أجل لقد خانوا الإسلام في ميادين شتى فخلعوا بذلك الأجنحة التي أعانتهم على التحليق في سماء التحضر والزعامة، و لم يبق إلا أن استقروا على الثرى، والقدر الأعلى لا يحابي أحدا، ولا بد أن يطبق قوانينه العادلة على البشر قاطبة حتى وإن كان هؤلاء مؤمنين وهؤلاء كفارا–وإنك لتضحك الضحك الذي هو شر من البكاء عندما تعلم أن المغاربة كانوا هم أشد الناس حفظا للقرآن، وأن المصريين كانوا أحسن الناس تغنيا به، وأن الأتراك كانوا أحسن الناس كتابة له...!) ، هذا ما ذكره محمد الغزالي بمرارة شديدة وتألم كبير في كتابه حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة[2].

ومع هذا الذي ذكره الشيخ لم يستطيعوا أن يصبروا على حمل تلك الزعامة التي ورثوها عن أجدادهم، و لم يستطيعوا مواصلة السباق... فتأخروا فاسحين المجال لغيرهم...، ففي ديننا الحنيف من المبادئ والقواعد ما يجعلنا نعود إلى قمم الحضارة والتحضر والزعامة والتزعم في أوجز مدة من الزمن كما فعل أجدادنا طيلة ألف سنة، بدأت بزعامة محمد ﷺ وتحضره ثم إلى أصحابه رضوان الله عليهم، ثم إلى تابعيهم، ثم إلى كل أجناس البشر تحت لواء حضارة ليس لها مقياس اتجاه الآخرين إلا بقدر ما يقدم الإنسان من خدمة للخير إلى نفسه وإلى غيره، إذ وصلوا إلى الزعامة والتحضر في أوجز فترة ثم حافظوا عليهما في أطول فترة للزعامة والحضارة والتحضر.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[3]، كيف نقرأ هذه الآية في الصباح وفي المساء ولا نأخذ بأسباب هذا التسخير لبناء الحضارة الإنسانية التي أستعمرنا الله لبنائها؟ قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ

فيهَا﴾[4]، ومن هذه النعم: أن جعل الله للإنسان عامة حقوقا على غيره من المسخرات حتى يتم له التسخير الأمثل، وجعل للإنسان حقوقا على أخيه الإنسان ليستقيم حال تسخير غير الإنسان من الإنسان، وحال إعمار الأرض كما ذكرنا سابقا.

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[5]، ولا يكون هذا الدين كاملا إلا إذا كان كاملا في كل نواحي الحياة، ومنها: أن يضمن كل حقوق الإنسان في كل الأعصار وفي كل الأمصار، إذ كيف يكون الدين كاملا إذا كان هادرا لهذه الحقوق التي هي أساسية في حياة الإنسان، وبدونها لا يستطيع القيام بمهمته في هذه الدنيا، ألا وهي العبادة والمعاش لإعمار الأرض التي استخلف فيها؟ وإذا كان الحال هكذا: كان لزاما على المسلمين أن يستنبطوا هذه الحقوق من نصوص الشريعة الوافرة، كما كان لزاما عليهم أن يستنبطوا كل أدوات وقواعد الحوار بينهم وبين غيرهم عامة وعلى هذه الحقوق خاصة، وكان لزاما عليهم أن يستنبطوا كل قواعد بناء الحضارات على مر العصور، وإن تصارعت حضارات مع حضارتهم كان لزاما عليهم أن يكونوا أحسن المحاورين، وإن فرض عليهم الصراع كان عليهم أن يكونوا أقوى المصارعين لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وأن يكونوا أرحمهم عند الغلبة والقهر.

والبشر كلهم أسرة واحدة، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[6]، وخاطب كل البشر بأنهم أبناء آدم عليه السلام بقوله: ﴿يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[7]، وقال: ﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾[8]، إلى غير ذلك من الآيات التي خاطب فيها الله تعالى كل البشر بأنهم أبناء رجل

واحد ألا وهو آدم عليه السلام، وقد أكد النبي ﷺ هذا الانتماء البشري الوحيد لآدم فقال: "كلكم لآدم، وآدم من تراب، فلا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى".(9)

وقال: " ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح"(10).

وقال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(11)، فهذه الآية تثبت عبثية دعوى من يدعي التفرقة في أصل الإنسان، كما تثبت عبثية القول بقولبة الناس في نمط واحد من الحياة، وإلغاء كونهم شعوبا مختلفة وقبائل مختلفة،مختلفة في معاشاتها وتقاليدها وأعرافها وعوائدها و...

ثانيا: 1-تعريف العولمة: هي محاولة كل جهة من العالم فرض ما عندها على الآخرين بالقهر، إما بقهر السلاح أو بقهر الإغراء بعرض حقائق ما عندها وإظهار جمالها.

وعلى هذا: فإن العولمة قديمة جدا في النواحي المعيشية، أما النواحي الدينية فلم تحدث إلا بنزول آخر الرسالات السموية، فهي حديثة العهد بالنظر إلى عهد عولمة المعاشات.

2- إثبات عولمة الإسلام: إن الإسلام هو دين عالمي قد خاطب الله تعالى به كل البشر باختلاف أجناسهم، حيث قال مخاطبا محمدا ﷺ ومكلفا له بتبليغ هذا الدين إلى كافة البشر: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(12)، وقال: ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(13) وآيات كثيرة تثبت أن محمدا ﷺ قد بعثه الله تعالى للناس كافة، فكانت رسالته عالمية. وقال

ﷺ: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي وذكر: "وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس كافة"[14] وهذا الحديث الصحيح يثبت عولمة الدين الإسلامي كما أثبتته الآيات السابقة، ومما يؤكد هذه العولمة للدين الإسلامي: أن جعله الله تعالى آخر الأديان السماوية، ولو لم يكن عالميا لوجدت أقوام من البشر لم يبعث الله لهم أي نبي، لأن الأنبياء عليهم السلام السابقين عن محمد ﷺ كان كل واحد يبعث إلى قومه فقط، ولم يدع أي نبي منهم أي قوم من غير قومه، وعدل الله تعالى يقتضي أن كل البشر قد متعهم الله برسالة سماوية سواء أكانت متقدمة أم متأخرة.

وهنا أسجل ملاحظة هامة ونقدا للنصارى الذين ليسوا من أصل يهودي كيف صاروا نصارى؟ أو كيف صاروا مسيحيين وعيسى عليه السلام قد بعثه الله تعالى إلى قومه اليهود فقط؟ ولم يبعثه إلى أي جنس آخر غير اليهود، وهو عليه السلام لم يدع أي قوم أن يتبعوه إلا اليهود خاصة، فكيف سولت لهم أنفسهم أن يدخلوا دينا لم يدعهم نبي ذلك الدين إلى أن يدخلوا فيه؟ وكيف يدعون عليه عليه السلام هذا الادعاء الباطل بزعمهم أن المسيح عليه السلام قد جاء مخلصا لكل البشر وأنه بذلك يدعوهم جميعا إلى اتباعه؟ وهو بريء منهم كل البراءة من هذا الادعاء الكاذب فهو لم يبعث عليه السلام إلا لليهود خاصة، ولم يدع إلا اليهود خاصة، وقد رفعه الله إليه ولم يدع بعد أي بشر من غير اليهود، فكيف بهذا الافتراء عليه؟ !

ومما يؤكد هذه العولمة للدين الإسلامي كذلك أن جعله الله تعالى آخر الأديان كذلك، فجعل فيه ما يجعل الإنسان المخاطب به مقبلا على قبوله والانصياع إليه بمجرد ما تقع حججه على أفهامه ومداركه، وما ذلك إلا لأنه

قد خاطب الناس بفطرتهم التي فطرهم الله عليها ألا وهي الخلقة الصافية غير المشوشة بأي مشوش أو منغصة بأي منغص[15].

3-إثبات أن الإسلام هو الدين العالمي الوحيد في هذه الدنيا:

قال رسول الله ﷺ: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس كافة"[16]. فإذا تدبرنا هذا الحديث وجدنا ما ذكره ﷺ (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة) بعد أن ذكر بأنه قد ميزه الله تعالى بهذه الخمسة والتي منها: أنه بعثه إلى الناس كافة أينما وجدوا مع اختلاف أجناسهم وألوانهم، فعلمنا إذن أن الإسلام هو الدين السماوي الوحيد الذي جعله الله تعالى عالميا لكل الأمم ولكل الأجناس، أي أن الإسلام عالمي وهو وحيد في عالميته، ولو لم يكن وحيدا في عالميته لاستلزم عدل الله تعالى إرسال رسل أخرى بعده ويكون آخرهم دينه هو الدين العالمي، فاستلزم أن يكون الدين الإسلامي ليس هو آخر الأديان، ولما كان الدين الإسلامي هو آخر الأديان بالمشاهدة وباستقراء التاريخ وبقوله ﷺ: (أنا العاقب فلا نبي بعدي) استلزم أن يكون الدين الإسلامي عالميا وهو الوحيد في عالميته، فكانت العولمة إذن عولمة واحدة في هذه الدنيا وهي العولمة الإسلامية، وكل العولمات الأخرى التي نسمع عنها ما هي إلا أجزاء من هذه العولمة الإسلامية في جانب من جوانبها.

ولقد سمعنا البارحة أن كل المحاضرات قد قامت على الدين سواء أكان دينا سماويا أم دينا أرضيا- فكانت كلها بما قدمنا ليست عالمية، إلا الحضارة الإسلامية، فإنها قد كانت ولا تزال عالمية لأنها قد قامت على دين عالمي، وغيرها قد قامت كل واحدة منها على دين قومي ليس عالميا سواء أكان دينا سماويا أم دينا وضعيا من باب أولى، فالعولمة إذن هي وحيدة في هذا العالم

وهي العولمة الإسلامية لا غير، عولمة في عبادتها، وعولمة في معاشها، فالناس إذن يعبدون الله بعبادة واحدة لا غير، ويعيشون معاشات مختلفة باختلاف أجناسهم وطوائفهم وأوطانهم ومنظمة بنظام إسلامي قد راع عوائدهم وأعرافهم المختلفة ما دامت جالبة لمصلحة أو دافعة لمفسدة، وليس لأمة من الأمم أو جماعة من الجماعات أن تفرض عوائدها وأعرافها على غيرها من الأمم والجماعات الأخرى قياسا على مراعاة الإسلام لأعراف وعوائد العرب زمان نزول نصوصه و لم يفرض عليهم أعراف وعوائد أقوام أخرى، فلا يحق إذن للعرب أن يفرضوا عوائدهم وأعرافهم في معاشهم على سائر الأمم لأنهم لم يميزوا بهذه الميزة عن غيرهم[17]، وغيرهم لا يحق لهم فرض أعرافهم وعوائدهم في معاشهم على غيرهم من باب أولى.

4-رفض الخشية من العولمة الحالية:

وإذا كان الحال كما أثبتنا سابقا: فلم الخشية من العولمة يا ترى؟ وهي في الأخير لا عولمة إلا العولمة الإسلامية، و لم نصور العولمة الحالية أنها الغول الذي سيأتي على سائر الناس فيلتهمهم بأسرع من البرق؟ و لم نضخم الأمور الصغيرة ونجعل من الحبة الصغيرة قبة كبيرة؟ و لم نجعل من العثرة الصغيرة الموتة الأخيرة؟ و لم نخاف على الكبير من الصغير؟ و لم نخاف من الضعيف على القوي؟ و لَمَ و لَمَ و لم؟....

وفي الحقيقة فإن الغالب من مجموع ما سمعنا من محاضرات من صبيحة البارحة إلى الآن حول العولمة ما هي إلا بكاء وتصدية على أحوالنا الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وعلى نواحي الحياة في العمل... ولقد تخيلت نفسي وأنا أستمع إليها أني أستمع لرؤساء شركات وطنية أو شركات خاصة وقد أفلست أو هي في طريق الإفلاس، فقلت في نفسي: كيف يبيح هؤلاء الدكاترة المحاضرين الأجلاء لأنفسهم أن ينصبوها هذه المناصب —مع جلالهم وقدرهم-

وبدون ما ينصبهم أي صاحب شركة لا من القطاع العام ولا من القطاع الخاص، وقد صبوا جام غضبهم على ما سوف يحدث من احتكار للثروة الطبيعية والتجارية من الشركات المتعددة الجنسيات لأن الغلبة ستكون لها لا محالة —حسب زعمهم- بحكم قوة هذه الشركات وضخامتها، وتناسى هؤلاء الإخوة الكرام أن الاحتكار هو احتكار مذموم، سواء أكان من شركات صديقة —عامة أو خاصة- أو من شركات متعددة الجنسيات ليست صديقة، إذ النتيجة هي هي، ومن فائدة المواطن المستهلك ذلك التنافس الحر الذي يجعل في النهاية كل طرف منها يقدم أفضل الخدمات له، ثم أنه لا يمكن لأي معاش-اقتصاد- أن يستقيم ويزدهر في هذه الدنيا إلا إذا وجد في جو من التنافس الحر الشريف، وليس من الشرف أن ننحاز إلى محتكر دون محتكر إمعانا في الاحتكار المقيت وخدمة له، سواء أكان احتكار الأصدقاء أو كان احتكار غير الأصدقاء.

كما تخيلت نفسي وأنا أستمع إليهم أني أستمع لرؤساء منظمات ثقافية مفلسة أو تكاد تفلس بعد حين لانغلاق عقول أصحابها، أو أني أستمع لرؤساء منظمات اجتماعية شبيهة بالمنظمات الثقافية المفلسة السالفة الذكر...

كما تخيلت نفسي وأنا أستمع إليهم أني أستمع إلى أصحاب لغة هزيلة يبكون حظهم أمام سائر اللغات يخشون عليها أن يتخطفها الطير! ، وللأسف الشديد أن هؤلاء هم أصحاب اللغة العربية، لغة القرآن، يخشون عليها حتى من أضعف اللغات وأحدثها، والتي ما زالت لم تعرف العراقة والاستقامة والهزات العنيفة مع تعاقب الليل والنهار ...ونسوا أو تناسوا أن اللغة العربية قد نصرها الله بنصرته للقرآن الكريم وأنه قد حفظها ومازال يحفظها بحفظه للقرآن الكريم، وما زال إلى يوم القيامة، قال تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[18] فكيف نخشى على لغة الله تولى حفظها بحفظ القرآن؟ وكيف

نخشى على اللغة العربية وقد تعرضت للإذابة والمسخ والمنع بالقوة والقهر في الجزائر قرنا واثنتان وثلاثين سنة من طرف الاستعمار الفرنسي، وبمجرد أن نالت الجزائر استقلالها قد عادت اللغة العربية إلى مكانتها اللائقة بها بسرعة البرق قياسا على سرعة انتشار اللغات والعود بها إلى ما كانت عليه، والدليل على ذلك: ملتقانا هذا، إذ كله مدار باللغة العربية، وكليتنا هذه وجامعتنا هذه و و و ...كلها باللغة العربية، وما كان يحلم أجدادنا في العهد الفرنسي بهذا الحلم في عودة اللغة العربية بهذه القوة أبدا، فاللغة العربية بخير والحمد لله — وجزى الله خيرا من كان سببا في عودتها إلى هذه المكانة اللائقة وبهذا الزمان الوجيز- ولا يخاف على اللغة العربية إلا من جهلها وجهل قوتها ودررها، قال حافظ إبراهيم على لسانها:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؟

هكذا اللغة العربية قد قالت وخاطبت من يجهلها متحدية له هذا التحدي الكبير وأن العيب فيه وليس فيها، فكفانا خوفا وبكاءا ونواحا على اللغة العربية وهي بخير في هذه الخيرية.

ونتيجة التخوفات السابقة التي ليست في محلها فقد رفض هؤلاء الإخوة الكرام العولمة جملة وتفصيلا لا لشيء إلا لسوء تقدير منهم حسب اعتقادي.

ولقد تناسى هؤلاء الاخوة الكرام أن دعوتهم لرفض العولمة في هذه المجالات وغيرها هي دعوة بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر لرفض العولمة الإسلامية، لأن رفض العولمة جملة وتفصيلا يستلزم رفض العولمة الإسلامية، إذ رفض الكل يستلزم رفض الجزء، أو أن رفض العولمة يكون طريقا إلى رفض العولمة الإسلامية، كما تناسوا بأن الاقتصاد هو عرض وطلب وأنه منافسة حرة وأنه، وأنه، وأنه...وبانقراض هذه الأصول سيزول الاقتصاد الحر لا

محالة، وسيحل محله الاقتصاد المحتكر لا محالة، سواء أكان احتكارا من طرف الإخوان أو من طرف غيرهم، فهو احتكار ممقوت ممقوت...

كما تناسوا أن الثقافة التي يحاول فرضها أصحابها على غيرهم في الغالب ما هي إلا ثقافات إسلامية لكنها غير عربية، والمسلمون ليسوا ملزمين بالثقافة العربية، وإنما هم ملزمون بالثقافة الإسلامية العالمية، وكل ثقافة لأي جهة من جهات العالم هي ثقافة إسلامية، إلا إذا كانت أصولها تتعارض مع أصول الإسلام لأن الإسلام قد خاطب الله تعالى به كل البشر مع اختلاف أجناسهم وألوانهم وثقافاتهم وأعرافهم وعوائدهم، مقرا لهم بها، و لم يأمرهم بأن يغيروها إلى ثقافة أخرى ولا إلى أعراف أخرى ولا إلى عادات أخرى سواء أكانت هذه الأخرى عربية أم غير عربية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[19] ولو كانت هذه الشعوب والقبائل لها نفس اللغة ونفس الثقافة ونفس العادات والتقاليد والمعاشات لما صدق فيها قوله تعال: ﴿شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ ولصارت شعبا واحدا وقبيلة واحدة، وهذا البقاء بهذا التنوع هو باق إلى يوم القيامة، كما ذكرت سابقا من عبثية من يحاول أن يجعل الناس كلهم يتكلمون لغة واحدة مهما كانت هذه اللغة -حتى وإن كانت اللغة العربية لغة القرآن- ويعتنقون عادات واحدة، وأعرافا واحدة ومعاشات واحدة وثقافات واحدة.

كما تناسوا أن كل لغة في العالم هي لغة إسلامية، ومن هذه اللغات: اللغة العربية وهي ليست الوحيدة التي يجب على الناس التكلم بها، سواء أكانوا عربا أم عجما، بدليل أن الله تعالى لم يأمر العجم أن يغيروا لغتهم إلى اللغة العربية إذا ما اعتنقوا الإسلام، بل قد أمر العرب أولا أن يبلغوا الإسلام إلى سائر الأعاجم بحكم نزول هذا الدين بلغتهم، ولن يستطيعوا أن يبلغوه لهم إلا

إذا تعلموا لغاتهم، فالعرب إذن هم الملزمون بأن يتعلموا سائر اللغات عددها بعدد لغات الشعوب المدعوة إلى الإسلام، وليس غيرهم من الأعاجم هم الذين يجب عليهم أن يتعلموا اللغة العربية، اللهم إلا الحد الأدنى منها كالنطق بالشهادتين، ويكفي النطق بها مرة واحدة في العمر، وكقراءة الفاتحة خاصة في الصلاة التي لا تصلح صلاته إلا بها، وبعبارة أشمل لا تصلح عبادته التي تكون بعض أركانها النطق باللغة العربية مثل الفاتحة وتكبيرة الإحرام في الصلاة، ولهذا وجدنا أن النبي ﷺ قد أمر أحد الصحابة أن يتعلم اللغة العبرية (اليهودية) و لم يأمر اليهود الذين اعتنقوا الإسلام أن يتعلموا اللغة العربية، وكانت زوجته أم المؤمنين صفية بنت حيي يهودية، وصحيح أنها كانت متكلمة باللغة العربية كذلك بحكم عيشها منذ نشأتها مع العرب، لكنه لم يثبت أبدا أن أمرها أن تتعمق في معرفتها للغة العربية، كما لم يثبت أبدا أنه قد أمر اليهود الذين عاشروه في المدينة المنورة واعتنقوا الإسلام بأن يتعلموا العربية، و لم يأمر الملوك والسلاطين الذين بعث لهم بكتب يدعوهم إلى الإسلام أن يتعلموا اللغة العربية أبدا، فكيف يحاول بعضنا اليوم أن يجعل تعلم الأعاجم للغة العربية هي القضية الأولى في الإسلام في حياته وأنه لا يستقيم إسلامهم الاستقامة الحسنة إلا أن تعلموا لغة امرؤ القيس ونسوا لغتهم ؟!

كما تناسوا أن كل حياة اجتماعية هي حياة إسلامية، إلا إذا تعارضت مع قواعد الإسلام، بدليل أن الله تعالى لم يأمر العرب عند نزول الرسالة الإسلامية أن يغيروا كل حياتهم الاجتماعية، بل قد أقرهم على كلها ما عدى تلك الجوانب الاجتماعية التي تتعارض مع القواعد الإسلامية... فكيف يطلق أيادي العرب في حياتهم الاجتماعية ويقيد أيادي غيرهم من الأمم الأعجمية إذا ما اعتنقوا الإسلام؟ ! إن هذا لهو الكيل بمكيالين والذي لا يليق بنا أن نعتقده في الله تعالى، ولقد رفضه رفضا باتا وأعاب عليه، بل عاقب عليه إذا ما

أدى إلى مفسدة كبيرة، وأي مفسدة أكبر من هذه؟ تمييز جنس من البشر بإبقاء عوائده وأعرافه بدون مميز، بل هذه الحياة الاجتماعية لا تصلح لغيرهم، واعتناقها يجعلهم يعيشون في ضنك العيش، والإسلام قد جاء ليخرج الناس من ضنك العيش لا أن يدخلهم فيه.

قـاعدة:

إذا كان المسلمون قد تربوا على العولمة العبادية والمعاشية منذ نزول القرآن(15 قرنا وربع قرن) فلماذا نخشى اليوم من عولمة صبية ما زالت لا تدرك شيئا، و لم تعمر إلى اليوم إلا خمس سنوات فقط-وأعني بها هذه العولمة التي تنادي بها أمريكا اليوم وتتزعمها- بل لم نخش من أي عولمة قد يخرج بها أي جنس من الأجناس إلى العالم في أي عصر من العصور؟ لا نخشى على أنفسنا من أي عولمة إلا إذا كنا لا نثق بعولمة الإسلام، ولا نكون كذلك إلا إذا كنا لا نثق في الله تعالى واضع هذه العولمة، أو كنا جاهلين بالإسلام وبعولمته، وهذا عذر أقبح من ذنب... فعلينا أن نعود إلى رشدنا ولا نخشى على الأسد من النملة، وأن نرفض فكرة قولبة العالم بالعولمة العربية، والنظر إلى أن الإسلام هو ما عند العرب فقط سواء أوافق الإسلام أم خالفه، فالعولمة العربية المزعومة ليست عالمية، وإنما الإسلام هو العالمي، وخشيتنا على العولمة العربية المزعومة ليست مبررا لنا بأن نخشى على العولمة الإسلامية، إذ خشيتنا على الأرنب ليس مبررا لنا بأن نخشى على الأسد.

ثـالثا: حقوق الإنسان المعلنة من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة:

ومما لا شك فيه أن الحكمة هي ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها كما ذكر النبي ﷺ حيث سن بقوله هذا قاعدة ذهبية تبقى إلى يوم الدين...

وإذا ما نظرنا اليوم بنظرة متفحصة إلى حقوق الإنسان المعلنة عالميا في الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم 1948/12/10 وقرأنا ديباجتها وموادها مادة مادة لأدركنا أنها من هذه الحكم التي يجب على المسلم أن يكون هو أحق بها من غيره.

وإذا ما عدنا إلى نصوص الإسلام وأصوله لأدركنا أنها لم تكن ضالة على جميع المسلمين وإنما هي موجودة في الإسلام منذ أن نزل الوحي من السماء وجاء به جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ، لكن قد يعلمها بعض المسلمين فقط لكن السواد الأعظم منهم ما كان يعلمها أبدا إما لجهل أو غفلة أو... وإذا كان الحال هكذا فيمكنك أن تسألني: هل صحيح ما تدعيه أم هي مجرد دعاية إلى هذه الحقوق وهذه الهيئة فقط؟

وأجيبك في الحين بأنني قد تتبعت ديباجة هذا الإعلان كلمة كلمة، وجملة جملة، ثم تتبعت مواده مادة مادة، فأدركت أن في العالم أناس قد صحت ضمائرهم بعد نوم طويل، وذلك بعدما رأوا ذلك الدمار الهائل الذي لحق بالإنسان منذ قرون عديدة خاصة ما لحق به في القرن العشرين أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية... وأنهم بعد ما صحت ضمائرهم صاحوا بأعلى صوت لهم بهذه المواد التي تحدد حقوق الإنسان والمسطرة في هذا الإعلان التاريخي، إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة المنعقدة في 1948/12/10 بحقوق الإنسان ...

وأدركت عندها أن مجموع الإنسان مهما طغى في الأرض وطاش وتجبر إلا ويبعث الله تعالى منه من يعيده إلى رشده...وأن الخير في البشر إلى يوم القيامة ... وأن العالم لن يخلو في يوم من الأيام من عقلاء يحرصون أو يحاولون الحرص على مصالح عموم سكانه...

ولقد تتبعت مواد هذا الإعلان مادة مادة محاولا تأصيل أي مادة يمكن أن يكون لها أصل في الشريعة الإسلامية، فأذكر دليله... فوجدت العجب العجاب... فاسمعوا مني نتائج ما توصلت إليه:

النتيجة الأولى: كل مادة منها كنت أتصفح لها آيات في القرآن الكريم أو أتصفح لها أحاديث من السنة النبوية الشريفة إلا وكانت هذه الآيات وهذه الأحاديث تتزاحم عليّ تزاحما لإثباتها... خاصة لما وقعت يدي على الوثيقة الثانية لإعلان حقوق الإنسان في الإسلام الصادرة عن المجلس الإسلامي الدولي للعالم يوم 1981/09/19م بباريس، والوثيقة الأولى عنه –وأعني بها وثيقة الإعلان العالمي الأول لحقوق الإنسان في الإسلام– كانت في أفريل 1980 بلندن.

النتيجة الثانية: وعلى ما سبق: أدعو إلى وجوب اعتماد الإعلان العالمي للجمعية العامة للأمم المتحدة لحقوق الإنسان يبتاريخ 1948/12/10 على أن تكون هي المواد الأولى للحوار العالمي بين سائر شعوب المعمورة فيما بين أفراد أي شعب من هذه الشعوب، ثم فيما بين الشعوب المختلفة في هذا العالم، وذلك للوصول إلى عولمة تسعد جميع الناس، إذ تحافظ على هوية كل شعب وعلى خصوصياته وتبني مجتمعا إنسانيا راقيا في جو من الاحترام، وفي جو من التعاون المثمر...

وعلينا أن لا نخشى من هذا الحوار لأن من قواعد الإسلام وفروضه ما جعلنا متفوقين في هذا الميدان التفوق الأعظم، مما يجعلنا نحقق عالمية الإسلام في أوجز وقت ممكن، وعلينا أن لا نغلّق الأبواب والنوافذ ونتقوقع بالإسلام فتلحقنا لعنة الله تعالى، إذ فرطنا في نشره وتبليغه إلى كافة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والدفع بالتي هي أحسن والمجادلة بالتي هي أحسن، وبالتبشير وليس بالتنفير، وبالتيسير وليس بالتعسير و...

أما لماذا لا يكون الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام الذي ذكرته سابقا هو الذي يجب أن نعتبره النواة الأولى للحوار العالمي بين كل شعوب المعمورة:فلأنه أشمل وأوسع من الإعلان العالمي للجمعية العامة للأمم المتحدة لحقوق الإنسان (1948/12/10)، والنواة دائمة تكون هي الأضيق من غيرها مما يحويها ولا يتضرر الحاوي بما ينتج عن المحتوي بخلاف العكس فإنه قد يتضرر المحتوي بما حوي فيه.

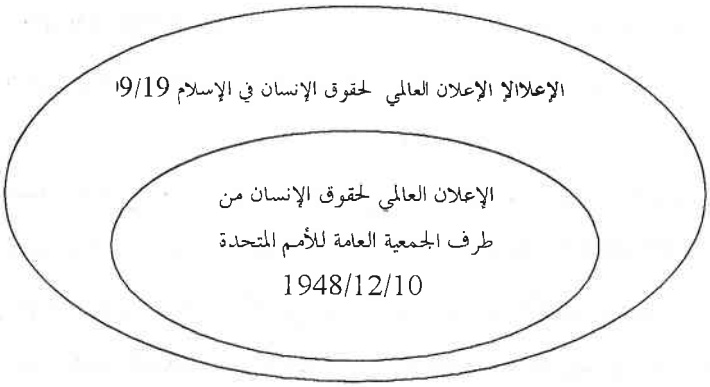

قواعد الحوار مع الغير خاصة الغرب منهم لقبول العولمة وتحقيقها:

علينا ونحن نحاور غيرنا في العولمة التي ستسود العالم اليوم أو في المستقبل أن نضع نصب أعيننا القواعد التالية:

1- قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[20]، إذ تثبت هذه الآية عبثية محاولة جعل كل شعوب العالم شعبا واحدا، وكل أجناس العالم جنسا واحدا، وكل معاشات الناس معاشا واحدا.

2- إن الوضع الصحيح الوحيد للإنسان أن يكون تابعا لله لا مستقلا بنفسه وأن يسترشد بوحيه لا أن يغتر بفلسفته الخاصة..[21] ، لأن الله تعالى هو أعلم العالمين، أما الإنسان فلم يؤت من العلم إلا قليلا، قال تعالى:﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[22] ، وصاحب العلم القليل لا يمكن أن يستقل عن صاحب العلم الكثير، فما بالك أن يستقل عن أعلم العالمين سبحانه وتعالى؟!، وصاحب العلم الكثير هو دائما منتصر على صاحب العلم القليل، وتابع صاحب العلم الكثير هو دائما منتصر على تابع صاحب العلم القليل كذلك.

3- ما أضعف الإنسان إذا لم تسنده قوة ربه... وما أشقاه حين يحرم بركته[23].

ولما كان المسلم المحاور لغيره تسنده حجج ربه كان أقوى من غيره في هذا الحوار.

4- الدعوة إلى احترام التقاليد المستقرة في بيئات كثيرة ما دام لا يصادمها نص شرعي[24]، والدليل على ذلك احترام الإسلام لتقاليد العرب عند نزول الوحي، إذ اعتبر كل تقاليدهم فأقرها وأبقاها، بل بنى عليها تشريعات جمة إلا ما تصادم مع النصوص الشرعية، ولما كان لا فرق بين العرب والعجم عند الله تعالى كان لزاما اعتبار هذه القاعدة وهي احترام تقاليد الغير مادامت لا تتصادم مع أصول الشريعة الإسلامية.

5- يرفض التشبث باجتهاد ما إذا كان يعوق سير الدعوة الإسلامية، فلا وزن لاجتهاد فرعي يعترض انتشار الأصول والأركان.

فإذا رأينا مثلا الأوربيين يقبلون الإسلام لو سمحنا للمرأة بالقضاء في الدماء والأعراض وولاية المناصب العامة، فليدخلوا في الإسلام وليعملوا بمذهب ابن حزم الأندلسي، أليس ذلك خير لنا ولهم؟[25].

رابعا: نماذج من مقارنة مواد إعلان حقوق الإنسان من الجمعية العامة للأمم المتحدة(1948/12/10) بما يقابلها من مواد إعلان حقوق الإنسان عالميا في الإسلام (1981/09/19):

ولقد اكتفيت هنا بذكر نماذج فقط من هذه المقارنات بسبب طول الموضوع واشتراط المجلة المحترمة هذه صفحات قليلة في الموضوع.

I-المادة1من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (1948/12/10): "يولد جميع الناس أحرارا في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء".

وهذه المادة تقابلها:

المادة 2 من بيان حقوق الإنسان في الإسلام (1981/09/19):

"**حق الحرية**: أ- حرية الإنسان مقدسة -كحياته سواء- وهي الصفة الطبيعية الأولى التي بها يولد الإنسان، قال ﷺ: "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة"[26] ، وهي مستصحبة ومستمرة ليس لأحد أن يعتدي عليها، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟" ويجب توفير الضمانات الكافية لحماية حرية الأفراد، ولا يجوز تقييدها أو الحد منها إلا بسلطان الشريعة وبالإجراءات التي تقرها.

ب- لا يجوز لشعب أن يعتدي على حرمة شعب آخر، وللشعب المعتدى عليه أن يرد العدوان، ويسترد حريته بكل السبل الممكنة، قال تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[27] ، وعلى المجتمع الدولي مساندة كل شعب يجاهد من أجل حريته، ويتحمل المسلمون في هذا واجبا لا ترخّص فيه قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾[28].

فإذا أجلنا النظر في المادتين وجدنا أنهما متماشيتين تمام التماشي وكأنهما من مشكاة واحدة، سوى أن المادة المعلنة في بيان حقوق الإنسان في الإسلام هي أشمل وأوسع من الأولى، وهذا طبيعي جدا لأن حقوق الإنسان المعلنة من طرف الخالق سبحانه وتعالى تكون دائما أشمل وأكمل من حقوق الإنسان المعلنة من المخلوق، ومن يسوي بين الخالق والمخلوق؟ الله هو الأعلم بالجريات وهو الواهب لهذه الحريات والإنسان مهما أوتي من العلم فلم يؤت إلا قليلا منه، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[29] ، فالله هو صاحب العلم كله، والإنسان لم يؤتَ إلا قليلا منه، ومن يسوي بين كل العلم وقليله؟ والإنسان يقرر حالة الحرية فقط إذ يكتشفها فيعلمها فيقررها، إذ يقررها لنفسه ولغيره من بني جلدته، بينما الله تعالى هو الذي يعطي هذه الحرية وهو الذي يعلّمها لخلقه وهو الذي يفرضها عليهم لإحقاق مصالحهم ودفع مفاسدهم.

(يولد جميع الناس أحرارا) =(وهي الصفة الطبيعية الأولى التي بها يولد الإنسان)= (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟) = (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة) ومن الفطرة أن يولد حرا له كرامته وحقوقه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[30].

II-المادة 2من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (1948/12/10): "لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان دون تمييز، كالتمييز حسب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر أو الأصل الوطني أو الاجتماعي، أو الثروة أو الميلاد، أو أي وضع آخر، دون أي تفرقة بين الرجال والنساء".

وهذه المادة تقابلها:

المادة 3 من بيان حقوق الإنسان في الإسلام (1981/09/19): حق المساواة:

(أ): "الناس سواسية أمام الشريعة"، قال ﷺ: "لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى "[31]، ولا تمييز بين الأفراد في تطبيقها عليهم، قال ﷺ: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[32]، وقال أبو بكر الصديق ﷺ لما ولي المسلمين: "ألا إن أضعفكم عندي لقوي حتى آخذ الحق له، وأقواكم عندي لضعيف حتى آخذ الحق منه".

(ب) "الناس كلهم متساوون في القيمة الإنسانية" قال ﷺ: "كلكم لآدم وآدم من تراب"[33]، وإنما يتفاضلون بحسب عملهم، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾[34]، ولا يجوز تعريض شخص لخطر أو ضرر بأكثر مما يتعرض له غيره، قال ﷺ: "المسلون تتكافأ دماؤهم"[35]، وكل فكر، وكل تشريع، وكل وضع يسوغ التفرقة بين الأفراد على أساس الجنس أو العرق أو اللون أو اللغة أو الدين: هو مصادرة مباشرة لهذا المبدأ الإسلامي العام.

(ج) "لكل فرد حق في الانتفاع بالموارد المادية للمجتمع من خلال فرصة عمل مكافئة لفرص غيره" قال تعالى: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾[36]، ولا يجوز التفرقة بين الأفراد كما وكيفا، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[37]، فنلاحظ أن نص المادة 2 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان متطابق تمام التطابق مع الفرعين (ب) و(ج) من نص المادة 3 من بيان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام، فالحقوق والحريات الواردة في الإعلان العالمي هي حقوق مكفولة ومعلنة من طرف الله تعالى منذ نزول الوحي، إذ خاطب الله الناس بأنهم أبناء آدم، وبأنه لا فرق بينهم عنده إلا بالتقوى قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[38]، وقال: ﴿يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[39]، وقال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[40]، وقال رسول الله ﷺ: "كلكم لآدم وآدم من تراب فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى" وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[41]

III-المادة 3من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (1948/12/10): "لكل فرد الحق في الحياة، والحرية، وسلامة شخصه".

وهذه المادة تقابلها مادتان:

المادة 1من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام (1981/09/19):

حق الحياة: (أ) "حياة الإنسان مقدسة.. لا يجوز لأحد أن يعتدي عليها، قال تعالى: ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**﴾[42]، ولا تسلب هذه القدسية إلا بسلطان الشريعة وبالإجراءات التي تقرها.

(ب) "كيان الإنسان المادي والمعنوي حمى، تحميه الشريعة في حياته وبعد مماته، ومن حقه الترفق والتكريم في التعامل مع جثمانه قال ﷺ: "إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه"[43]، ويجب ستر سوءاته وعيوبه الشخصية، قال ﷺ: "لا تلبسو الأموات، فإنهم أفضوا إلى ما قدموا"[44].

والمادة 2 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام: حق الحرية:(أ) حرية الإنسان مقدسة –كحياته سواء– وهي الصفة الطبيعية الأولى التي بها

يولد الإنسان، قال ﷺ: "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة"[45] وهي مستصحبة ومستمرة ليس لأحد أن يعتدي عليها، قال عمر بن الخطاب ﷺ : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟) ويجب توفير الضمانات الكافية لحماية حرية الأفراد، ولا يجوز تقييدها أو الحد منها إلا بسلطان الشريعة وبالإجراءات التي تقرها.

(ب) لا يجوز لشعب أن يعتدي على حرمة شعب آخر، وللشعب المعتدى عليه أن يرد العدوان، ويسترد حريته بكل السبل الممكنة، قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾[46] ، وعلى المجتمع الدولي مساندة كل شعب يجاهد من أجل حريته، ويتحمل المسلمون في هذا واجبا لا ترخّص فيه قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[47].

فنلاحظ بجلاء أن المادة (3 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) متأصلة في الشريعة الإسلامية تمام التأصل.

(لكل فرد الحق في الحياة) =(حياة الإنسان مقدسة... لا يجوز لأحد أن يعتدي عليها)، قال تعالى:﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[48] ،(ما من مولود إلا ويولد على الفطرة)، ومن الفطرة: الحق في الحياة.

(لكل فرد الحق في الحرية) = (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة)= (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا).

IV-المادة 21 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (1948/12/10):

(1) لكل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده، إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون اختيارا حرا.

(2) لكل شخص نفس الحق الذي لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد.

(3) إن إرادة الشعب هي سلطة الحكومة، ويعبر عن هذه الإرادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراع السري، وعلى قدم المساواة بين الجميع، أو حسب أي إجراء مماثل يضمن حرية التصويت.

وهذه المادة تقابلها:

المادة 14من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام(1981/09/19):

حق الدعوة والبلاغ:

(أ) لكل فرد الحق في أن يشارك -مفردا أو مع غيره- في حياة الجماعة: دينيا، واجتماعيا وثقافيا، وسياسيا...إلخ، وأن ينشئ من المؤسسات، ويصطنع من الوسائل ما هو ضروري لممارسة هذا الحق، قال تعالى:﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[49]

(ب) من حق كل فرد ومن واجبه أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، وأن يطالب المجتمع بإقامة المؤسسات التي تهيئ للأفراد الوفاء بهذه المسؤولية تعاونا على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[50]

وقال: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[51] وقال ﷺ: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)[52].

المقارنة: 1-فبمقارنة الفرع (1) من المادة (21من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) بالفرع (أ) من المادة (14 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام) نلاحظ تمام تطابقها، ولما كان للفرع الأخير أصل كما نرى في الشريعة الإسلامية: كان للأول نفس الأصل إذن.

2-أما الفرع (2) من المادة (21 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) فأصله قوله ﷺ: (الناس سواسية كأسنان المشط)[53] ، فلما كانوا سواسية: كانوا كذلك في حق تولي الوظائف العامة، قال ﷺ: (لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى).

ومن التقوى إدارة هذه الوظائف على بينة وكفاءة، فالمقياس الأول لإدارتها: الكفاءة وحسن الإدارة.

3- لما كان شرط تولي الوظائف العامة هو الكفاءة وحسن التسيير، وكانت وظائف الحكومة هي من الوظائف العامة: كان من شروط توليها: الكفاءة وحسن التسيير، ولما كان الأمر كذلك كان اختيار من يتولى هذه الوظائف يرجع إلى الشعب صاحب هذه المناصب يولي عليها من يشاء ويعزل من يشاء، ولما كان كذلك كان من ولاه الشعب فقد أعطاه السلطة، ومن عزله فقد نزع عنه السلطة، فكانت سلطة الحكومة في تطبيق شرع الله أو غيره هي من سلطة الشعب، وأفضل وسيلة لاختيارهم هو الانتخاب السري، أو في وسيلة تؤدي إلى حسن الاختيار، وأول حسن للاختيار: أن يكون بعيدا عن المحاباة، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما ولي على المسلمين: (أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي) ولقد اختير أبو بكر الصديق على رأس المسلمين خليفة بواسطة الانتخاب الحر الذي ليس فيه شائبة ضغط على الناخبين.

المادة 22ع: لكل شخص بصفته عضوا يف المجتمع الحق في الضمانة الاجتماعية، وفي أن تحقق بواسطة المجهود القومي والتعاون الدولي، وبما يتفق ونظم كل دولة ومواردها: الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لا غنى عنها لكرامته وللنمو الحر لشخصيته.

الهوامش

1 - هود/61

2 - ص 6، ط/ دار المعرفة، الجزائر.

3 - لقمان 20.

4 - هود/61.

5 - المائدة/ 03

6 - النساء/ 01

7 - الأعراف/35

8 - الأعراف31

9 - رواه مسلم.

10 - رواه البخاري

11- الحجرات1 3

12-سبأ/28

13-الأعراف/158.

14-رواه البخاري في صحيحه.

15-أنظر مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر بن عاشور، ص 88، طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، الجزائر.

16-رواه البخاري ومسلم.

17-مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر بن عاشور، ص 90-91، طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، الجزائر.

18-سورة الحجر/09.

19-الحجرات/13.

20-الحجرات/13.

21-محمد الغزالي 100 سؤال عن الإسلام، ص 468، ط2 دار رحاب، 1421هـ/2001م الجزائر

22-الإسراء/85.

23-المرجع نفسه.

24-المرجع نفسه.

25-المرجع السابق، 488.

26-رواه البخاري ومسلم.

27-الشورى/41

28- الحج/41.

29- الإسراء/85

30- الإسراء/70.

31-رواه مسلم في حجهﷺ في حجة الوداع.

32-رواه أحمد.

33-رواه مسلم في حجة الوداع

34-الأحقاف/19

35-رواه أحمد.

36- الملك/15

37- الزلزلة/7-8

38- النساء/ 1.

39- الأعراف/35.

40- الحجرات/13.

41- لقمان/20.

42- المائدة/32.

43-رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

44-رواه البخاري

45-رواه البخاري ومسلم.

46-الشورى/41

47-ا حج/41.

48- المائدة/22.

49- يوسف/108.

50-آل عمران/104.

51- المائدة/02.

52- رواه أصحاب السنة بسند صحيح.

53-رواه الديلمي بلفظ: سواء.